رواية

الرسالة الاخيرة

عمر طارق المغربي

كتوباتي
kotobati

الرسالة الأخيرة

عمر طارق المغربي

رواية

الكتـــــــــــاب: الرسالة الأخيرة

تـــــــــــأليف: عمر طارق المغربي

النوعيـــــــــــة: رواية

صدر عن كتوباتي: 2024م

التنسيق والتصميم: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

من خلف هذه الجبال، من أمام البحر هذا وأمواجة الثائرة الغاضبة أخط أول خطاي في العودة في ذاكرتي، حيث البعيد، حيث أستقرت أحلامي هناك وقد غطى رأسها المشيب، من هنا من قريتي عدلون الحبيبة أنسجوا لكم أول خيوط حكايتي. مازلت هنا أبحثُ عن نفسي وحيداً على صخرتاً قد بثقتها الدنيا على حافة شاطئ بانت علية أثار العجز والأرهاق، كما بدت على وجهي ملامح ورموز الأستسلام كأن عمري أصبح على شف حفرة من النسيان الأبدي .

ذلك الطفل المتعلم المثقف الطموح، ليس هو الآن، اصبح اليوم جاهلاً وسط أعداد كبيره من الحمقة، وهاهو صوت جدي في مخيلتي «تروك لكتاب الزلمي ما بينفعه إلا المجرفه والمعول». مضت الأيام ولكن مازلت كلماته في أذان تدوي كانهوا آذان يدعوني لصلاة، يالغرابة الناس هناك وقبح عقولهم وتخلفهم، رغم اني ولدت وترعرعت بينهم إلى اني لم اشبههم لا خلق او خلقاً، نعم غريب كأني نملة بوسط اسود

لا أعلم متى يطأني أحدهم بقدمه، اذكروا حال الأولاد في قريتنا كانوا يقضون اوقاتهم بلعبة كرة القدم او السلة او الطائرة، بينما اجلس بالقرب من جدتي وهي تسرد لي قصة «الفتى الفقير» فأذهب في أعماق القصه فتصبح آذاني كأنها صائمه تريد ان ترتوي من الكلمات المندفقه من فم جدتي، وخيالي كانه لص يحاول صرقت العبر. فأنسا نفسي وأنسا جدتي وأسرح بخيالي واتخيل نفسي ذلك الفتى الفقير الذكي، اترك الدنيا لدقائق ثم أعود إلى ارض الواقع على صوت دق الباب وصياح جدتي«تفضلي يا جارة»، إنها جارتنا إم سلوان كانت دائما تأتي إلى دارنا، اقصد دار جدتي فأنا أعيش بدار جدتي«والله كبران هالصغتور» عبارة تترد دائماً على مسمعي عند زيارة أم سلوان لنا، فكنت ألقبها بمذياع الضيعه، لسرعتها بنقل الأخبار ولكنها كانت إمراءة طيبه، كانت من أقرب الجارات لجدتي و أفضلهم. مازلت اتصورها في مخيلتي تلف على رأسها منديلا ابيضً انسدل تحتة شعراً مخظب بالحناء، ذات وجه ابيض اللون وعيوناً عسلتين غرقا في اعماق بحر الشقا، وزين جبينها ثلاث خطوط كتب يبنهم قصة ألم

ومواجع، ففي قريتنا المرأة حضورها او غيابها لا يغني ويبقى إلى الآن صوت لميا وهي تقول «المرأة متل الظل خفيف ما بينقرا وبلا الشمس ما ببن» لميا كبيرت حينا ذات بشره سمراء داكنه وعيون سوداء صقرويتين، ولسان احد من السكين فكانت مرجع القرى في جميع الأمور او كما كانوا يطلقون عليها«مختار الضيعه» فكان الصغير والكبير يحترمها فكانوا يقولوان إنها ذات علم بالغ ولكن كانت في عيني كسائر أهل القرى جاهلة تلتهي بنقل الأحاديث والأراجيف و سريعة الغضب وقليلة الصبر لذا كنت أعتبرها جاهله لان العالم إنسان صبور حليم قاظمناً لغيظه ولكنها عكس هذا .

ها انا ابحر بسفينة أحلامي إلى خلف تلك الخيال المتمرد الذي انهكني، وأرى نفسي جالساً بين شجرات قريتنا انظر إلى مغيب الشمس اتوق لرؤية ما ورائ ذلك الشفق الأحمر الدامي فقلبي الذي لف على رأسة عمامه الأستسلام وحوط جدرانه بالسوادء معلناً الحداد، اسرح بخيالي وانا حامل بيدي أوراق اكتب عليها تخيلاتي وبجانبي رفيق دربي إلياس .

إلياس رفيق الطفولة، ولدنا بنفس اليوم ولكن بفرق الساعات، كبرنا معناً، حمل نفس ذلك الخيال، ذات الطموح، عشاقٌ للكتب، طموحين لرؤية ما خلف الشفق الأحمر، نختلف عن أهل القرى تماماً، فكنا دائماً نءهب إلى حقول القمح نداعبها بأيد الاطفال البريئه، وبأحلامهم الجميله، نتسابق حيث لا نهاية، نحمل في قلوبنا نفس العزيمه والقوة، نفس العلم فنحن رضعنا العلم من ثدي واحد، جدتي هي من علمتنا الكتابة والقرآءة، هي من أخذت بنا من لعر الجحيم إلى أعالي الجنان، وضعت بيدنا طوق النجاة، فنجينا من الهلاك .

جدتي تختلف عن كل نساء أهل القرى فهي ليست منهم، جدتي من منطقه تدعى «النبطية» وكانت جدتي الوحيده المتعلمه في هذه القرى، ولكن اتسام جدتي الحليمه من لسان المتخلفين فكل ما تباهت جدتي بشهاداته الجامعية قاطعتها ام فارس بمثل الجهل والكفر«علموها بتخسروها» فتلتزم جدتي الصمت وتغير ام ربيع الحديث .

قريتي قرة صغيرة وكباقي القرة اللبنانية، زرع التخلف فيها غاباته وروى الجهل من مائة السنديانة والأقحوان، قرية متشبسه بعادات القدماء، وضع البوم بصمتة على أهل القرية فتبقى حزينه باكية .

إلى الآن لم أحدد ما الذي كان يدفعني للبحث عن العلم خارج قريتنا، كنت اعتقد ان هناك يمكن ان يعيش قلمي حر يكتب صفحاته الحزينه ويرسم أحلام دفنتها أيدي االجهل من قبل ان تولد حتى، إلياس صديق عمري الذي فرقتنا الأيام وشتتنا في دنيا غريبة الأطوار، أين انت وأين أجدك أبحث عنك في مخيلتي فلا أذكر سوى أحاديثك وتلك القصائد التي تكتبها، أبحث عنك في أوراقي فلا أجد سوى فتات من الأحلام المستحيله .

إلياس كم أشتاق لتلك اللحضات التي نجتمع بها حول مدفئ منزلنا حينما يلفح الشتاء أول لفحاته، فترى السماء مرتعبة غاضبة ثائره، وترى الأشجار كأنها معلنة الحداد على حبيباً مات لها، فتسقط دمع السماء من الخوف فترتجف شجارة الزيتون والتين والبقوليات وأرى

السواعد السمراء قد غطها الرجال بمقماش من أجل تتدفأتها وأسمع صوت جدي الذي حمل بيدية معول «يلا يا مازن لرح نتأخر، مشاءالله الشتوي قوي السنه، يعني الحصاد إنشاءلله رح يكون وفير» فأحمل بيد صديق إلياس وأسير معه تحت قطرة مطر تسقط للأرض أطئها بقدمي كما تفعل القرى بأحلامنا نسير ونسير حتى ننهك لكي نصل إلى ما يسمى «الخروب» المكان الذي شهد على تاريخ القرى، مرة بهذا الخروب طيور الأجداد، وأحلام الصبيه والشباب، مر بهذا الخروب مقابر العجز و سرائر الأطفال الجهلاء، أجلس ان وصديقي على جذع شجرة سقط من بطش الزمان، نتأمل البعيد نحلم ان نكون هناك حيث توجد الأحلام .

وتمر ساعات وساعات ونعود للمنزل وها نحن نقترب من إلياس حيث مسك يدي وقال«يا مازن انت ضيفنا الليلي تعا عزمك على السهرة بدي خبرك شي» وتقتك رأسي وذهبت بطريق دارنا، ما الشئ المهم يا ترى؟ لم أجد إلياس مطرباً يوماً هكذا! عيناه كانت صعبة الفهم! انا حينها كنت افضل ان ابقى في داري تحت فراشي الدافئ وأمام نافذتي

المطله على الحقول او ما كما كنت أسميها «بوابة العالم الآخر»، لم تمر الساعات وانا أأخذ بحلقت باب دارنا أفتحه ولم أر سوى قدماي تذهب بإتجاه منزل إلياس، وصلت طرقت على الباب فإذ بأم إلياس تفتح وترمي علي السلام فأرده وسرعان ما جاء إلياس وشدني من يدي إلى غرفتة وأقفل باب الغرفه «إلياس ما هذه التصرفات؟» قلت هذا بنبرة من الغضب «أود أن أخبرك بشئ لا أريد ان يسمعنا أحد «

»وما هذا الشئ يا إلياس الذي يستدعي اقفال باب الغرفه «

»انه قلبي يا مازن جعلني مشتت تائه «

»قلبك!!» قلتها مستعجب والأعجب كان عيون مازن التي تلمع كأنها جوهرة تحت ضوء الشمس «نعم، يا مازن اني واقعاً في الحب» رسمت إبتسامة خفيفة على وجهي وقلت«ومن سيئه الحظ يا إلياس» إبتسم وقال «انها هي فتاة طموح مثلنا يا مازن متعلمه في الخارج و» قاطعته بالقول «اتقصد حبيبة إبنه أبو سلمان» إبتسم إلياس وأحمرت خدوده وأصبحت كالورد الجوري .

لم أنس ابداً تلك الليلة ما زلت تعيش بمخيلتي إلى الآن .

لا أعلم من أين يأتي ذلك الشعور الغريب فيسكن قلبك ثم يصبح هو المعروف وانت الغريب، يغمرك بالليالي الباردة تلمحه في كل نافذه من صباح شتوي ممطر، يعيش بداخلك فيصبح صديقق ورفيق دربك، انه الحب غريباً أليس كذلك...

حينما شاهدت عيون إلياس كأناني أول مرة أشاهده. ولالى الشتاء عن قرتينا ولكن لم يرحل من قلب إلياس فضل قلبة عاصف ثأر كالبرق غاضب كالرعد يريد ان يعترف بمشاعره للمحبوبة ولكن من أين سيأتي إلياس بكل هذه الجرأة .

هاهو الربيع قد جاء وكان الدنيا زغردت ولبسة ثوب زفافها المزين والمطرز واشرقت الشمس كأنها إمرأة قضت أجمل ساعاته بقرب محبوبها، والفراشات قد استيقظت بعد ثبات طويل والنحل مشتاق للرحيق ، ورفعة القمصان عن السواعد الفلاحين ورفعت المعاول ورش الربيع عطرة فأنتشر عطر التراب الرائع، ها انا ذا اخلع حذاء من أقدامي وأدوس على التراب بقدمي، وما هي إلى لحظات حتى

اصبحت كطائر تحرر من سجنه وبدأت أركض كالمجنون لا أعرف إلى اين الوجهه .

كيف مرت هذه الأيام بسرعه؟ لا أدري حقاً لا أدري لم يبق من هذه الأيام سوى فتات من الذكرياة او لمحان لا تدوم لثوان، ها أنا ما زلت أجلس امام البحر هذا وسفينتي ما زالت تبحر من دون توقف لا أعلم متى ستصل لوجهتها، إلياس نعم وماذا عن إلياس؟ وعن أحلامنا لربما تتسائلون ما الذي حدث معه ما زلت اتذكر تلك اللحظات .

حينها كالعادة كنا جالسين على الجبل نتظر إلى شفق الأحمر الذي اوشك على المغيب مثل أحلامنا نبنيها اليوم وغداً تغيب، و إذا بحبيبة تأتي وعلى رأسها جرة الماء التي ملأتها من العين، لا أخفي عنكم حبيبة فتاة جميلة شقراء اللون والشعر، ذات عيون سوداء حادة النظرة، وفم صغير وشفاة ورديتين مثل خدودها كانت مربوعه الشكل ضعيفة الحجم، اقتربت وقلب إلياس اصبح بحالة إهتزاز وعيونه شخصة لتلك الفتاة اقتربت منا وأرمت السلام «سلام مازن شو الأخبار» ثم نظرة لإلياس ورق صوتها وتقتقة رأسها قائلة«شو الأخبار إلياس شو

عامل، كيف الدراسة»«والله الحمدلله الدراسة عال العال والصحه منيحه، انت كيف» هذا ماقالة إلياس فردت«انا منيحة و» قاطعها صوت جدي الذي كان جالس خلف الشجرة«اهلا بالحلوي، كبران وحليان ايوا شكلك حابة» إبتسمة إبتسامه خفيفة ونظرة لإلياس ثم ولة هاربة من الخجل، هل هذا يعني انها تحبني؟ لماذا نظرة إلي؟ مارأيك يا مازن؟ هذه هي التسائلة التي بقيت في رأس إلياس إبتسمت وقلت«بتعرف من نظرات مبين إنا بتحبك ما بدا عشرة يحموا فيها»«من تمك لباب السما يامازن» عدنا انا وإلياس للشفق الأحمر، لأول مرة تخيولاتنا تكون غريبة لأول مرة وكأن أحلامنا لا تشبه بعضها، هو كان يحلم بتأسيس حياة مع حبيبة، وانا أحلم بأن اخرج

من هذه القرية راحلاً نحوا المدينه لبناء حياة مثل ما أحلم. قاطع حبل أفكاري إلياس

»مازن جربت تحب شي مرة، بتعرف شو يعني حب.

حب، كلمة لم أجدها في قاموسي، تركت إلياس جالس بأحلامه ورحت أمشي وصوت إلياس في مخيلتي«بتعرف شو يعني حب» نعم أعرف. الحب هو الأخلاص للمحبوب، الحب هو خميرة الحياة ومن دونه لاننجح بالعيش، الحب هو حياة أخرى مليئة بالدفئ والأمان، الحب هو ان نحيا مع من نحب ونموت معه، الحب هو الوفاء للمعشوق، الحب هو درب علينا جميعنا المرور به كالموت فهو شيء محتوم، أما

«هل أحببت مره»

لا أدري حقاً فحياتي عبارة عن كتب ونزه وعمل ودراسة لا اكثر، حب في هذه القرى مع من، مع هؤلاء الفتيات الجاهلين القبيحين العقل لا اتكلم على المظهر لا يهمني ولكن ماذا عن العلم والعقل، جميعهن متخلفين وانا أحلم بفتاة مثقفة ومتعلمه، هل أخالف أحلامي لا أدري. آه يا مازن لو استطع ان اصف لك مازن اليوم كم تغير عن السابق فلن تصدق ان هذا هو مازن الذي يجلس الآن و يكتب قصتة، نعم تغيرت لدرجه اني لم اعد اعلم من انا ولماذا هنا؟ في السابقة في تلك القرى

وفي تلك الليلة جائني إلياس مسرعاً خائفاً حزين ضمني وصار يبكي «ما بك؟ ما الذي جرى؟!» «حبيبية حبيبة يا مازن» «مابها يا إلياس هل جرى لها شئ سيء؟!» «تريد ان تغادر القرى«

تغادر .

نعم كما سمعتم تغادر القرى، كلمة يبغضها جميع سكان أهل القرى، كان ذلك شبح الهجرة الذي حط رحلة في قريتنا وأخذ يبعد شبابنا واحد تالو الآخرى لم نعد نشاهد سوى مناديل بيضاء تلوح في الهواء من يدي عجوز تودع ولدها، تودعه بالدموع قبل القبلات فيأخذ قطعه من قلبها معه قبل ان يأخذ الشنط، هذه المشاهد اصبحت غداء القرى فإن لم يغادر كل جمعه شخص كانت تثور من جوعها، ولكن من كان يدري ان الدور آتن لحبيبة، لم أدري ما أفعل حينها .

ولكن دموع إلياس حرقت قلبي لأول مرة أرى صديقي الطموح بهذا الشكل منكسر، فثارت المشاعر بداخلي وتحررت يداي من مكانهم، وأمسكتُ بيدي ألياس وأخذت أركض به نحوا الجبل حيث العين،

حيث توجد حبيبة، اندهشت الفتاة من هذا المشهد وقالت«ما الذي يحدث يا مازن لماذا تبكي يا الياس؟»«خلص يا حبيبة صار لازم تعرفي كل شي»«لا يا مازن بحق صدقتنا ما تحكي»«شو في يا مازن ما الذي يحدث هل جرى شئ»«يا حبيبية إلياس...»«إلياس شو يا مازن»«إلياس بحبك يا حبيبيه بس مستحي انة يخبرك»«شو، كيف لي»«يا مازن لي خبرتا انت»«بدي ضل ناطرك يا إلياس صار لازم حدا فينا يحقق حلم ولو لمرة وحدي»«إلياس عنجد بتحبني»«إي حبيبيه انا بحبك بحبك» تركت الجرة من يدها وضمت إلياس لصدرها«يا جماعه هلق حدا بشوفكن بفكر شي» ولكن وكأن لوحدي او احدث نفسي لم يسمعني أحد، سرت في طريق العودة إلى المنزل وتركت العشاق مع أحلامهم لاول مرة يتحرر هذا العشق من قفصة ليصبح طائراً يحلق بأ السماء لم اعرف ما الأحاديث لاني لم اكن معهم ولكن كنت بزروة النشوة والسعادة، لانه للمرة الأولى يحقق أحداً منا حلمة .

نحن بهذه الحياة كالدمى الخشبيه، تحركنا كيف ما أحبت وأين ما أرادت وإذا حاول أحداً من التمرد دمرتة ورمته على الهامش أي الموت، تمام كما حدث لي فخيالي المتمرد، عزبني وجعلني أسيراً عنده، كأنة كبل يدي بسلاسل من حديد، ووضع في عنقي طوقاً من الأشواك حتى غدوت إنسان مريض نفسي كما يدعوني .

هل أنا مجنون، لا انهم هم المجانين، حولو العقلاء إلى مجانين والأغبياء إلى أسياد، وها انا ذا ماذا اخذت من عقلي هذا سوى المشاكل والأواهم والخيال الذي عزبني، تباً لهذه الحياة كم اكرهها فعلاً لا يوجد قول آخر تباً لها .

كيف اخبره كيف ان حبيبه ليس عاشقة ولهانه وان جميع الفتيات كنت تود التقرب من إلياس لجمالة فقط، كيف اخبرة ان حبيبة ستترك القرة بعد أسبوع، كيف اخبرة انها ستنساة عندما تجد اجمل منه، ما أقبح البشر لماذا جعلوا الجمال درجه من درجاة الحب، هل يمكن لأحد ان يخبرني من وضع موازين الجمال، لماذا يجب تكون الفتاة التي تحبها

فائقط الجمل ولماذا تركض الفتاة خلف الشاب الجميل، الجمال ليس كمال والقبح ليس رزبلة، إذا لا يوجد شخص قبيح ولا شخص جميل، الجميل جميل العقل والعلم والقبيح قبيح العقل والأخلاق،لماذا وضعتم للحب معاير، الحب الحقيقي ليس بالمضاهر،بالباطن والجواهر العقلية،

إلى الأن ترسم في خيالي ضحكة إلياس وفرحته بعد ما حدث، واخيراً جفت الدموع في عيونه واصبحت إبتسامه واخيراً، لكن نسيت ان الدنيا لا تريدنا سعداء في صباح خريف تساقطة به اوراق الاشجار وحل اليأس على كل القرة، سرقت من الطبيعه فرحتها تماماً مثلما سرقت فرحه إلياس، تلبدة الطبيعه بالأصفر والبني كما تلبد قلب إلياس بالسواد والرماد، جاء إلياس مسرعاً إلى دارنا «مازن، مازن، مازن وينك يا زلمي» «شو في يا ألياس شو صاير» اخذ بيدي ودخلنا مسرعاً إلى غرفتي والدموع تنهمر من اعين إلياس كزخ المطر «شو في يا الياس خبرني وجعت قلبي يا رجال» مرت ساعه ولم يتكلم إلياس كلمه حتى سمعت صوت امي تزغرد تركت إلياس وخرجت لكي

اشاهد مايحدث، هاهي والدة حبيبه تقف على الباب وبيدها علبة صفوف «تعا يا مازن كول، كول يا ابني عقبالك» ووضعت بيدي قطعه من الحلوى «عقبالي، عقبالي بشو يا ام حبيبه»«لي ما بتعرف، حبيبه تقدم عريس غني من المدينه»« كيف»«شو في مازن لي كيف»«لا، ولا شي بس كيف عرفا لحبيبه»«يا مازن بكون ابن خي يعني ابن خالا لحبيبه» تراجعت خطوة للوراء لا ادري ماذا اصنع حينها،«قطعه حلوى»«حبيبة بدا تتزوج»«الياس، الياس» هكذا كان الصدى حينها بعقلي، هرعت إلى الغرفه، وجدت إلياس غارق بدموعه ضممته، لا ادري ما صنع، فقط اكتفيت حينها بالبكاء معه.

ما الذي صنعناه مع الحياة حتى نلقى كل هذا لا أدري حقاً ما زلت اذكر كل لحظه مضى فيها إلياس حينها اصبح بحالة صحية سيء جداً، عيونه الصقروية اصبحت ذابلة، عضلاته ارتخت، لا اعلم كيف اساعد رفيق دربي حينها، كأني كهل او محجوز بقفص ما، ذهب إلياس من داري تلك الليلة وبقيت انا سهران على نافذتي انظر للبعيد وخيالي اصبح طفلاً مشاغب من جديد، لم اجد إلى صوت جرس الكنيسة

يطرق وصوت آذان الصباح يرتفع من المساجد،«مازن بعدك فايق»«ماما، ما عم اقدر نام»«شوفي مغير يا ابني»«ولا شي يا ماما شويت مشاكل طبيعبه»«لا ابدا يا مازن منا طبيعيه»«ماما»«مازن، بعرف كل شي،الياس بحب حبيبة وهي كانت بس عم تعمل حالها بتحبوا قدام رفاقها مش اكثر»«شو قصدك»«اي، يا مازن سمعتا بدينتي وهي عم تقول للبنات، شوفوا بكرا كيف رح خلي الياس يوقع بحبي ويصير مثل الخاتم باصبعي،»«اكيد من هيدا الكلام ياماما»«اي يا مازن عم قلك سمعتا بدينتي» ذهبت للنوم حينها وامي خرجت من غرفتي ضلت افكر في الأمر«حبيبة كاذبة، الياس نضحك علية، وشو منشان مشاعرها، يعني هلق هي مش موجوعه مثل الياس» هكذا ضل الصوت في رأسي حتي غشيت في النوم .

استيقظت وسبقتني نظراتي إلى الساعه انها التاسعه صباحاً اين إلياس لما لم يأتي إلى الآن خرجت من غرفتي «صباح الخير مازن»«صباح النور بابا، دخلك شفت شي إلياس»«لا والله يا مازن

ما شفتو اليوم» ركضت إلى الخارج إلى دار إلياس «سلام إم الياس وينوا الياس» «سلام مازن إلياس! إلياس من الصبح قلي انو رايح لعندك» «عنجد بس ما شفتوا» «يمكن يكون بالبساتين .«

حينها بحثت وبحثت ولم إجد إلياس او اني رايته وتظاهرت اني لم اراه وانا اكذب عيناي ليس هذا الياس لا ليس هو، صرخة صرخة قوية اجتمع من حولي رجال القرى ونسائها«يا لطيف شو صاير يا ام محمد» «ما بعرف يا ام حسن» «شو في يا أحمد» «ما بعرف يا حسين» اكذب ما ريته في عيني او ان اصدق لا ادري لم فعلت هذا يا صديقي، فقد وجدت إلياس جثة هامدة بين الاشجار وبيده قرورة السم، سقطت على الأرض ما الذي جرى، ما الذي حدث للحظات رايت الدنيا سوداء وكل من حولي وحوش يريدون جثة الياس لأكلها،«هل انتحر إلياس بالسم حينها؟» نعم ظاهرياً بالسم ولكن وجدانياً انتحر بحبة لحبيه، قتل نفسة من اجل فتاة لا تحبة اصلاً، لاول مرة ارى الياس جاهل، ولكن ما نفع التأنيب الآن إلياس انتحر وحبيبة عرسها بعد يومين، ركضت إلى حيث المجهول ودموعي تغسلني

والسواد من حولي قد لف قلبي، رجعت عند الليل إلى المنزل،«مازن وين كنت يا بابا خوفتني عليك»«مازن حكي يا ابني ما تحرق قلبي يا ابني انا امك شو صايرلك»«إلياس، إلياس»«شبو الياس يا مازن»«الياس»« يا ابني حكي شو في»«الياس انتحر» لم اسمع حينها سوى الصراخ من حولي والعويل، هرعت امي لبيت ام إلياس تخبرها «ام لياس يا ام لياس وينك»«انا هون يا ام مازن شو في»«كل شي منيح يا ام لياس»«كلوا تمام، تعي تعي شوفي هيدول البدلات شو حلوين، اكيد رح يكونوا اجمل على الياس، صح»«ام الياس بدي قللك شي»«هلق يتقولي، شو رايك بالهصور البنات حلوين، اي وحدة بتلبق لألياس»«يا ام الياس مازن انتحر»«شو شو عم تخبصي انتي»«عنجد قتل حالوا بالسم» لا اعلم ما الذي حدث عندها، ولكن كيف يكون قلب الأم عند زف خبر وفاة ابنها الوحيد .

مضت الأيام ودعونا على عرس حبيبة «يلا يا مازن قوم لباس»«ما بدي روح يا امي»«شو بدك يقولوا عنا الجيران»«يقولو لبدن يقولو، شو بدك يأني احتفل بوفاة إلياس» فعلا اقتنعت اخيراً ان اذهب من

اجل التقاليد، دخلت إلى الفرح كلهم فرحنين كأنة لم يكن هناك ميت قبل يومين جلست هم يغنون وانا ابكي، هم يرقصون وانا اشكي همي لنفسي، هم يتبادلون الحلوى وقلبي يشرب قهوى سادة على روح الموتى،خرجت حبيبه اعطيتها نظرات غضب قوية حتى ازاحت وجهها عني، لم استطيع ان اكمل الفرح فهرعت إلى الخارج وسرت بين الحقول، وفجأة .

مازن ليس عندي الكثير من الوقت» «وقت» «انا لم استطع ان احقق شيء عدني ان تحقق كل احلامنا» وبدء الياس يصغر شيئ فشئ وهو يقول «عدني يا مازن عدني» «اعدك» فختفا، هل جننت حقاً ، حينها اغمى علي لم اعرف ما الذي حدث غير اني استيقظت في منزلي وبقربي امي «وأخيراً فقت يا مازن» «شو صار يا امي» «كنت كل الليل حرارتك طالعه وكنت عم تحكي مع حالك» «ليش تركني الياس يا أمي ليش» «مازن شو صايرلك صرلي ساعه حدك» «الياس بعدك عايش» «ليش بدي موت يا مازن بدك تخلص مني» «لا، لا يمكن

عم احلم» «و إذا بصفعة قوي تطبع على وجهي «فقت هلق يا ابني» انه والدي .

كل ما حصل كان مجرد وهم وحلم، حمدت الله كثيراً ولكن كان إلياس حزين.«بتعرف شو يا مازن خلص بدي انسا حبيبة يمكن عرفت انة تقدم ابن خالة» «اي، اي يا إلياس تروك حبيبة خلينا نبلش من هلق نغير كل شي» «كل شي» «اي كل شي من بكرا رح نترك الضيعه» «لا انت الحرارة بعدا مئثرة عليك» «ياالياس لازم نحقق احلامنا» «بعرف يا مازن بس هيدا الشي هلق صعب» «صعب، ليش صعب» «عنا كثير اشياء بعد نعملها بالضيعه يا مازن».صمت إلياس وكذلك انا وغصنا بجوف احلامنا وقطعت هذا الصمت امي التي دخلت من الباب قائلة«خلص يا إلياس انسا، هي اصلاً كانت عم تلعب بمشاعرك» «ماما، شو عم تقولي» «متل ماسمعت يا مازن الياس لازم ينسا» «امك على حق يا مازن»، تركنا المنزل وخرجنا والصمت ساد المكان حتى اصبحنا نسمع وطأة اقدام النمل وهو يسير،و إذا بملاك تمر، ملاك هي فتاة متعلمة وابها من أثر رجال

القرى، كانت متوسطة الجمال ولكن احترامها كان يغني عن جمالها فعرفت بأخلاقها العالي. نظرت إلى وقالت«سلام مازن شو الأخبار» ثم نظرت إلى إلياس نظرة بان منها مشاعر الحب فقالت بصوت متوتر بعض الشئ «شو الأخبار يا إلياس،شو عامل»ردت عليها قائلاً«سلام ملاك الحمدلله انت كيف شو الأخبار»ورد إلياس«كل شي منيح انت كيف يا ملاك»«الحمدلله يا إلياس كل شي منيح « تابعنا سيرنا إلى ان اتتني الشجاعه فقلت«إلياس شو رايك بملاك»«ملاك» «اي ملاك، بنت متعلمه ومحترمه وحلوة»«شو بتقصد» «واضح من نظرات إنا بتحبك يا إلياس» إبتسم إلياس إبتسامه غريبة .

لم أعلم ما هذه الإبتسامه لكن علمت في اليوم التالي إن إلياس يريد الزواج من ملاك من اجل الانتقام من حبيبة، وما ذنب ملاك يا ترى ما ذنب حبها الصادق له لم اتوقع في يوم ان صديقي يكون هكذا، اغيرة الحب لهذة الدرجه أأصبح اعمى البصر والبصيرة، اذكر حينها اني حاولت اقافة لكن من دون جدوة وفعلاً تقدما لطلب يد ملاك، وفي

اليوم التالي كان عرس حبيبة، دخلنا للفرح ولكن لم ارسم على وجهي مراسم الفرح، ولماذا افرح لصديق غيرتة الدنيا، لماذا افرح لفتاة يتلاعبون بمشاعرها من أجل الأنتقام، ام لفتاة جاهلة همها المال، لا أدري ما هذه الحياة الغريبا حقاً انها حياة عجيبة .

كنت طوال الوقت انظر إلى وجه إلياس وها هو يتغير وشد قبظته وقطب جبينه ولكن سرعان ما ابتسم واشبكى يده بيد ملاك و إذا بنظرات حبيبة تتحول إلى نظرات غضب وغيرة، وملاك المغدور ضنت ان فعلاً إلياس يحبها، انتها الفرح كلاً عاد إلى دارة فرحان وان عدت إلى داري حزين، أجمع ما بقي مني من قوة للبكاء، افتح ابواب قلبي اقفل باب غرفتي، اشغل خيالي المتمرد واطفأ نور غرفتي، اجلس بين يدي ربي اصلي، اشعر كاني انسان ولدت من جديد، اشعر بأني صغير جداً في وسط رحمة الله الواسعه والكبيرة، اشعر كأن يد حنونه امتدت لتنقذني وسط غرقي في بحر الذنوب، فازرف دموعي على سجدة صلاتي حتى انهك فأغفا .

مازلت أبحر بعالم الخيال، وكلما أغلقت كتاب فتحت لخيالي ألف باب، أبحر نحوا الأعماق، هناك حيث البعيد، حيث يقطن ذلك الأحساس الغريب، حيث الطائر الشريد، حيث خيالي المتمرد الجريح، هناك حيث لآلأ الأمل تبزر من جديد، حيث لايوجد أحداً سوى ذلك السجين، نعم، نعم هناك حيث يقطن قلبي الوحيد .

هاهي حبيبة تركب السيارة مع زوجها وتودع اهل القرى لترحل إلى المدينه، وها هو إلياس يالبس بذة عرسة للزواج من ملاك، لا اذكر الكثير من هذا الفرح إلى اني كنت حزين على ملاك، وفرح لزواج صديق دربي، احترت حينها من اخون هل اخون ملاك تلك الفتاة العاقلة، ام اخون صديق عمري حينا أبكي، لا، لا الآن أدركت اني اخون نفسي، نعم نفسي كيف تجرئت على البكاء والفرح فآن واحد كيف .

انتها الفرح، وما اسرع هذه الليلة ياتي إلى صديق دربي ويخبرني يخبر صدمت منه .

»مازن بدي خبرك شي» «شو يا إلياس» «بتعرف من نحن وصغار عنا كثير احلام وصار لازم نحقق منا شي حتى لو مش الكل» «اي» «مازن انا بدي» «بدك شو يا إلياس» «يا مازن بدي سافر .«

لم استوعب ما قالة حينها ضللة كل الليل أفكر هل انتهت حياتي هنا لم يبق لي أحد فالجميع هاجر وترك القرى، ما اطمع شبح الهجرة لم اعلم لماذا لليوم لم يشبع، ما زال يأخذ اخوتنا، اصدقائنا، عائلتنا، اطفالنا، اهالينا، متى يشبع؟ بالأمس كنت لا أدري ولكن اليوم أدري لم يشبع ايداً لان بلدنا ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن طعامة ومن اجل ان تبقى على قيد الحياة ترمي اطفالة له من اجل ان يلتهمهم لا ربما يشبع .

اشرق الصباح واجتمعنا جميعنا في الساحه نودع إلياس ماذا اخبركم عن دموع امه، تعبت من اجل تربي ابنها وها هو اليوم يتركها وحيدة كما سيترك ارض وطنه وحيده، جاء دوري بتوديع إلياس« يمكن

حلمك رح يتحقق برا يا إلياس، ضلك دايماً بعتلي رسائل، طمني فيها عنك وعن انجازاتك» «ماشي، يا خي مازن .«

حاولت ان احبس دموعي واتظاهر بالقوى وقلبي اصبح مثل الغبار بنفخة واحده يتطاير، ركب إلياس وزوجته السيارة واخذ يلوح بالمنديل الأبيض حتى اختفت السيارة عن نظري، سرت حينها، سرت إلى المجهول، إلى حيث اجد نفسي، كيف اجدها واين، رحت اركض واركض ودموعي تغسلني وهمومي تكفنني لم يبقى سوى تلك الأحلام وذلك الشفق الأحمر، حتى الشفق الأحمر اصبح غريب عندها، واحلامي كأنها عادت إلى بيت امها، وانا عدت إلى داري لا اعلم كيف مضت الايام عندها، لم يستسلم شبح الهجرة حينها، بل كنت اصح وانام على خبر فلان سيترك غداً الضيعه وفلان ترك القرية عند الصباح .

احلامي لم تعد كالسابق اصبحت جثة على قيد الحياة، تنهار ورقة ورقه، ويرحل عمري ساعة ساعة، وأبقى انا الغريب، لا لن ابق جاهلاً يجلس في غرفتة كل النهار، نهضت عن سريري، فتحت خزانتي

جمعت ملابسي بحقيبة، وما هي إلى لحضات حتى دخلت امي،«مازن مالذي تفعله»«امي، كرهة العيش هون معش بدي ضل»«هيك رح تتركني ورح تترك الأرض لكبرت فيها»«يا امي هل الأرض ما قدمتلي غير الخسارة يمكن بالمدينه مكتبلي حياة احلا»وصار الحديث والشجار بين وبين امي كبحر جائر حتى دخل والدي الذي كان يستمع لحديثا من خلف الباب «يا ابني روح لوين ما بدك بس ما تنسا ارضك وناسك» حقاً اشرقت شمس ذلك الصباح وان انتظر بفارغ الصبر سرت بحقائبي نحو السيارة التي ستقلني للمدينه وجدت جمع من الأحباب والأصحاب، والدموع تزرف من عينيهم ودعت الجميع ووصلت إلى والدتي«ليك يا مازن بعرف عندك كثير احلام تحقق يس ما تنسا هل الناس لبحبوك» طقتقت رأسي وانا احبس الدموع في عيون ركبت السيارة ووضعت اغرارضي في صندوقها، وصارت السيارة تبتعد عن الجميع فحملت منديلاً ابيض ألوح به للأحباب، تغير الكون في لحظة اني اقطع حدود القرية التي لم اقطعها في حياتي، وجدت اناس لا أعرفهم بناية ضخمه وصبية

يحملون بأياديهم كتب وعلى ضهرهم حقائب مدرسية، انظر كأني إنسان عائد من العصر الحجري، عندها نزلت في منزل قديم ولكنه جميل اخذته في الأجار، ودخلت الجامعه وكنت متفوق، مضت الأيام لا ليست أيام بل مضت السنوات وتخرجت وأرسلت صور تخرجي لوالدي،و إلياس ضل طوال هذة الفترة يراسلني وانا اخبره عن حالي حتى بدأت الرسال منه تخف فقط اصبح كل شهر يرسل إلى رسالة واحدة، تأقلمت مع الحياة، مرت السنين ولم يرسل لي إلياس سوى رسالة منذ سنتان وكان بمضمونها :

إلى صديق مازن

تحياة طيبة اما بعد...

لقد تغيرت الحياة كثيراً يا مازن وددت لو ان تكون جنبي دوماً تشاركني الأفراح والأحزان، ها انا ذا اصبحت اليوم اب لطفلين، وملاك حبيبتي، نعم لا أعلم متى واين وقعت بحبها، وجدتها انسان عاقلة تفهمني من نظرة، اما حبيبة فقط نسيتها واصبحت شئ من الماضي، حققت الكثير من إحلامي وها انا ذا اعمل على تحقيق الباقي، كيف

الصحه؟ يامازن علمت انك اصبحت كاتب معروف فكتبك هي الأكثر شهرتاً هنا، افتخر بك يا صديقي، وددت ان اراك لكي ارى ما غير الزمان فيك، انا غير الزمان في الكثير، غطا شعري الشيب وذهبت العضلات والبنية القوية، ولم اعد ذلك المراهق الطائش، اصبحت اليوم اب عاقل اكرس حياتي في تربيت اطفالي، اما زوجتي فكل ما كبرت كل ما اصبحت اجمل واجمل اصبحت اليوم مدير لشركة تصنع السيارات، هل تعلم يا صديق لم اعد إلياس القديم تغيرت جداً، اود العود إلى قريتي سأعود سأعود يوماً يا مازن اعدك مع تمنياتي لك بعمر مديد واحلام جديدة...

صديقق المخلص إلياس

تعود متى تعود يا إلياس ولمن تعود، هل ستعود لقرى وضعتنا في دفتر الذاكرة اول ما خطة قدمنا لخارجها، لمن تعود لذكرياتنا التي باتت مجهولة، تباً لهذة الحياة لماذا صنعت مني إنسان يكتب مشاعرة بين الأوراق حتى ينهك قلمة، فيصرخ ولكن صراخ قلبي يخفي صوتة .

عندها قررت العودة إلى قريتي وليتني لم اعد، عندما وصلت لم يكن هناك احد يستقبلني ادوس بقدمي تراباً كاني اول مره ادوسها، كإنني ضيف في مكان تربيت فية، وفي ارض لا تعرفني رغم انني كنت اشكي لها مواجعي، سرت في طريق اصبحت فية الأشجار يابسة وكان هناك بيت قديم لا يوجد فية لون من الفرح والسعادة كان شبح الموت قد خيم علية سرت لهناك و إذا هو بيتنا، نعم بيتنا الذي كان مليئ بالفرح والسعادة اصبح قطعه من قبر طرقت الباب و إذا بعجوز يفتح لي الباب كهل كبير جداً شعرة في زروة الشيب، وظهره منحني انه والدي، والدي مفتول العضلات اصبح هكذا، ضممتة إلى صدري قبلتة و إذا بأمرة عجوز تأتي تشبهه في نفس التشابيه، انها امي ضممتها وقبلتها وقضيت يومين في القرى حاولت ان استرجع ذكرياتي لكن فشلت، وعلمت حينها انا ما أخذتة القرى من ذكريات لن تردها، عدت إلى المدينه، نادماً لذهابي للضيعه، ليتني تركتها في مخيلتي كما كانت في السابق، ليتني لم أرحل ولكن لا ينفع الآن الندم .

إلى الآن لا اعلم ما الذي ارادتة مني الحياة، دخلت إلى مكتبي سحبت من الدرج ورقة وكتبت عليها رسالة لصديقي إلياس ادعوة للعودة إلى ربوع الوطن، وكثرة الرسائل التي ارسلها إلياس وهو اكتفى ان يرد بعبارة واحدة «سأعود يوماً، حتماً سأعود .»

مضت السنين وعاد إلياس نعم عاد، ولكن ليس على قدمية بل محمل بنعشة مع زوجتة، اثر موتهم بحادث سير كبير في امريكا، لا اصف لكم شعوري حينها ولا اريد ان اتذكر ذلك الشعور المزعج الذي عاش معي لسنين،

لا أعلم ماهذة الحياة المزعجه التي تحاول دائماً ازعاجنا، تأخذ منا كل من نحب فنصبح كالشمعه نحاول جاهدين الوقوف سابتين وننسى مصيرنا وهو الفناء، احلامنا لم تكن كأحلام هذا الجيل بل كانت احلام بسيطة نعم، فحلم أمس طفل يرغب بالحلوى والحلم اليوم طفل يرغب بهاتب خلوي، حلم أمس شاب يرغب بكوخ يأوي وعلماً يغنيه والحلم اليوم شاب يرغب بترك بلادة من أجل بناء القصور ولا حاجة له لعلماً، ما أغرب هذة الدنيا نأتي إليها لا نملك شيء من ثم نحارب من أجل

الحصول على كل شيء ثم التخلي عن كل شيء وثم الرحيل من دون شيء، سنعيش، نعم سنعيش في هذة الحياة فقراء اغنياء، عجز وشباب، اطفال وكهول،

تركتني الحياة على ضفت نهر آلامها فأصبحت اشكي لها وماذا اشكي هل اشكي لها موت امي وابي او اشكي لها موت جدتي او موت إلياس وملاك، تحيرت لما الجميع تخلى عني، انها الحياة نعم الحياة التي توقد نار حزنك كلما خمد، لا أدري ما الذي تريده .

مرت الأيام بل السنين، وتغيرة الأحوال رحل إلياس وملاك، حبيبة وزوجها ورحل والدي مازن، نعم مازن اتسأل ما الذي جرى له، ها انا ذا ابحر في سفينة ذكرياتي من اجل ان أذكر ما الذي حل بمازن .

الدنيا في طبعها عنيدة ان ارادت شياً فهي ستأخذة لا محال، ولكن السؤال هنا كيف نتأقلم معها؟ .

الدنيا تريد من يتغلب على عنادها فيجعلها ضعيفة ويصبح هو القوي و يتأهب لكل ما ستجلبة له الحياة لأن الدنيا ان وجدتك عنيد حاولت

اختبار عنادك، اياك ان تزرف دمعه لان الدمعه في قموس الدنيا يعني الإستسلام .

اما عن مازن فقد تعرف على فتاة تدرس معه فالجامعه، كانت فتاة جميلة، عاقلة، مثقفة وكانت ايضاً كاتبة، نجح مازن في تحقيق حلمة واصبح كاتب كبير وزوجته ايضاً وتزوج فتاة احلامة وانجب طفلين «حبيبة و إلياس» وعاد مع اطفالة إلى القرى من اجل ان يعلمه على قيمه الأرض التي ترعرع عليها، ومثل الباقي توفى مازن وبعدة بسنوات زوجته، رحل الجميع وها انا ذا امام قبورهم اكتب قصصهم .

.مازن قصة لم تمت، مازن قصة مخلدة، مازن قصة تعيش معنا جميعنا، جميعنا غدرتنا الحياة، ابعدت عنا من نحب، اشربتنا من كأس الحزن، واطعمتنا من لوعه الأشتياق للمهاجرين، مازن رسالة، رسالة حياة مخلدة، رسالة أحلام متعلقة، رسالة أمال متجددة، رحل مازن وترك رسالة كبيرة، الجميع يظن إن مازن توفى بسبب الموت، ولكن مات قبل ان يموت جسدة، نعم مات قلبة بعد ترك إلياس لة، وبعد موت والدة وجدته، وبعد تركة للقرى، حقاً إلياس عبرة لكل من يعتبر، ورسالة

تخلد، على مر الزمن، مات مازن، تزوج إلياس، تحققت الأحلام، وانتهت القصه.

ها انا ذا ما زلت على هذة الصخرة اخط آخر احرفي في روايتي، وها هي سفينة حياتي اوقفت عن الأبحار معلنة النهاية، ترحل أجيال وتولد أجيال، وأخيراً ها انا ذا اقرأ آخر رسائل المحبة والأحترام من إلياس لمازن رسالة بعنوان الرسالة الأخيرة .

تمت بحمد الله.